كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلميـة

جواب الشرط المحذوف
في القرآن الكريم
وأثره في المعنى

إعداد

د/ سلامه عمر محمد عبد الرحيم
مدرس أصول اللغة في كلية البنات الإسلامية بأسيوط

(العدد الخامس والثلاثون الجزء الثاني ٢٠١٦م)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين . وبعد،،،

فالقرآن الكريم حبل الله المتين، وكتابه المبين، من حكم به عدل، ومن نطق به صدق، ومن تبعه هدي إلى صراط مستقيم.

وهو المعجزة الباقية إلى أن يرث الله – ﷻ – الأرض ومن عليها، أنزله – ﷻ – تحدياُ لأرباب الفصاحة والبلاغة، فعجزوا عن الإتيان بمثله أو بأصغر سورة منه.

" ولقد كان القرآن الكريم – ولا يزال – هو المنهل العذب الذي يستمد منه البلاغيون، والنحاة، والفقهاء، والمفسرون، وعلماء القراءات والتجويد، وغيرهم مادتهم العلمية في محاولة منهم لاستخراج حكمه وأحكامه، واستلهام نوره في الكشف عن أوجه الكمال والجلال، بله الجمال في ألفاظه ومعانيه " [(١)].

والإعجاز في القرآن عند أكثر العلماء إنما هو في نظمه وأسلوبه وبيانه [(٢)]، والحذف – وإن دل عليه دليل – من الخصائص الفنية الموجودة في القرآن الكريم.

وهذا من عظمة الأداء القرآني، فهناك أحداث لا تقوى العبارات على أدائها،

(١) مقدمة في قراءات القرآن الكريم ولهجات العرب في عصر النبوة: د. عبدالفتاح عبد العليم البركاوي صـ٥، ط: أولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي، تحقيق: على عبد البارى عطية: ٢٧/١، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى ١٤١٥هـ.

ولذلك يحذفها الحق – ﷻ – ليذهب كل سامع في المعنى مذاهبه التي يراها [١].

والحذف – إن دل عليه دليل – من سنن العرب في كلامها، وهو يضيف إلى المعنى قوة، ومن فوائده التفخيم والإعظام، لما فيه من الإبهام، لذهاب الذهن فيه كل مذهب، وتشوقه إلى ما هو المراد، يقول أحد العلماء: " إنما يحسن الحذف ما لم يشكل به المعنى، لقوة الدلالة عليه، أو يقصد به تعديد أشياء، فيكون في تعدادها طول وسآمة فيحذف ويكتفي بدلالة الحال عليه، وتترك النفس تجول في الأشياء المكتفي بالحال عن ذكرها على الحال، قال: وبهذا القصد يؤثر في المواضع التي يراد بها التعجب والتهويل على النفوس، ومنه قوله تعالى في وصف أهل الجنة: { حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا } [٢] فحذف الجواب، إذ كان وصف ما يجدونه ويلقونه عند ذلك لا يتناهى، فجعل الحذف دليلًا على ضيق الكلام عن وصف ما يشاهدونه، وتركت النفوس تقدر ما شأنه، ولا يبلغ مع ذلك كنه ما هنالك " [٣].

ومنها: موقعه في النفس في موقعه على الذكر، ولهذا قال الإمام عبدالقاهر الجرجاني: " ما من اسم حذف في الحالة التي ينبغي أن يحذف فيها إلا وحذفه أحسن من ذكره " [٤].

ولهذا وجهت وجهي إلى القرآن الكريم لأرى جمال التعبير القرآني وإعجازه في هذه الظاهرة، واخترت جواب الشرط المحذوف، لما لهذا الحذف من دلالات عالية

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد: ١٨٠/٢، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى ١٤٢٢ هـ.

(٢) سورة: الزمر، جزء من الآية [٧٣].

(٣) البرهان في علوم القرآن الكريم للزركشى، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم: ١٠٥/٣، ١٠٦، ط: دار الفكر، بيروت.

(٤) السابق: ١٠٦/٣.

وإضافات كبيرة على المعنى.

وقد جاء البحث بعنوان:

" جواب الشرط المحذوف في القرآن الكريم وأثره في المعنى "

وقد كانت طريقتي في البحث إيراد الآية القرآنية موضع الدراسة، وإظهار موضع الشاهد، وتقدير جواب الشرط المحذوف مع الاستعانة بالسياق؛ لتوضيح ما أفاده حذف الجواب من زيادة على المعنى.

هذا وقد استقصى البحث جميع أمثلة جواز الشرط المحذوف فى القرآن الكريم.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في مقدمة: تحدثت فيها – بعد الحمد والثناء على الله – ﷻ –، والصلاة والسلام على نبيه المختار، عن أهمية الموضوع وطريقة السير فيه وخطته.

وتمهيد: تكلمت فيه بصورة موجزة عن أسلوب الشرط: أداة الشرط من الأشياء التي تربط الجمل بعضها ببعض – أدوات الشرط – تقدم جواب الشرط – الاعتراض بين الشرط والجزاء – العامل في الشرط والجواب – حذف الشرط والجواب.

ومبحثين:

المبحث الأول: وتحدثت فيه عن دور السياق فى تقدير جواب الشرط المحذوف فى القرآن الكريم.

المبحث الثانى: تكلمت فيه عن الأغراض الدلالية لحذف جواب الشرط فى القرآن الكريم، وفيه مطلبين:

المطلب الأول: التهويل والتفخيم .

المطلب الثانى: المبالغة.

وخاتمة: وضحت فيها أهم النتائج التي أسفر عنها البحث.

وفهرس للمصادر والمراجع التي أعانت على إخراج هذا البحث.

هذا والله أسأل أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتي إنه سميع مجيب

تمهيد

أداة الشرط من الأشياء التى تربط الجمل بعضها ببعض:

لابد في الكلام من أدوات لربط المفردات في الجملة الواحدة، وأدوات لربط الجملة بالجملة، وللربط دور في إنعاش الذاكرة لاستعادة مذكور سابق، وإبراز المطابقة بين أجزاء الكلام، وتوضيح معنى الإسناد، فهو وسيلة مهمة في تحقيق: الاتصال بين أركان التركيب اللغوي وعناصره [١].

وللربط بين الجمل أدوات كثيرة، منها أدوات الشرط[٢] يقول ابن يعيش عن الحرف: " وأما الضرب الثاني من القسمة الأولى، فهو في اربعة مواضع:

أحدهما : أن يدخل لربط اسم باسم، وهو معنى العطف نحو قولك: جاء زيد وعمرو.

الثاني: أن يدخل لربط فعل بفعل نحو: قام زيد وقعد.

الثالث: أن يدخل لربط فعل باسم نحو قولك: نظرت إلى زيد وانصرفت عن جعفر وهو معنى التعدية.

---

(١) مبادئ اللسانيات د. أحمد محمد قدور صـ٢٩١، ط: دار الفكر – دمشق، ط: الخامسة ١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م، وأنظمة الربط في العربية د. حسام البهنساوي صـ٨، ط: مكتبة الشرق – ط: الأولى ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

(٢) الأصول في النحو لابن السراج تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي: ٤٣/١، ط: مؤسسة الرسالة، ط: الثالثة ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م، والأشباه والنظائر في النحو لجلال الدين السيوطي تحقيق: غازي مختار سليمان: ٢٧/٢، ط: مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

الرابع: أن يدخل لربط جملة بجملة نحو قولك: إنْ تُعْطِ أَشْكُرْك، وكان الأصل: تعطيني أشكرك، وليس بين الفعلين اتصال، ولا تعلق، فلما دخلت " إن " علقت إحدى الجملتين بالأخرى، وجعلت الأولى شرطًا والثانية جزاء " (١).

وأدوات الشرط تقوم بعمل الربط، إذا كان جواب الشرط يصلح أن يكون شرطًا " وهو الفعل "، وإلا نأتي بالفاء تكون رابطة للجواب، يقول ابن جني: " إنما دخلت الفاء في جواب الشرط توصلًا إلى المجازاة بالجملة المركبة من المبتدأ والخبر، أو الكلام الذي يجوز أن يبتدأ به، فالجملة في نحو قولك : إن تحسن إليَّ فالله يكافئك، لولا الفاء لم يرتبط أول الكلام بآخره، وذلك أن الشرط والجزاء لا يصلحان إلا بالأفعال، لأنه إنما يعقد وقوع فعل بوقوع فعل غيره ، وهذا معنى لا يوجد في الأسماء ولا في الحروف، بل هو من الحروف أبعد، فلما لم يرتبط أول الكلام بآخره، لأن أوله فعل، وآخره اسم والأسماء لا يعادل بها الأفعال أدخلوا هناك حرفًا يدل على أن ما بعده مسبب عما قبله، لا معنى للعطف فيه " (٢).

وتنوب عن الفاء في الربط " إذا " المفاجأة، لأنها تدل على التعقيب، كما تدل عليه الفاء (٣).

---

(١) شرح المفصل لابن يعيش: ٥/٨، ط: مكتبة المتنبى، القاهرة.

(٢) سر صناعة الإعراب لابن جني، تحقيق: د. حسن هنداوي ٢٥٢/١، ط: دار القلم – دمشق – ط: الأولى ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

(٣) شرح المقرب المسمى التعليقة للعلامة بهاء الدين بن النحاس الحلبي، دراسة وتحقيق: د. خيري عبد الراضي عبد اللطيف: ٨٩٢/٢، ط: مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

أدوات الشرط:

وهي أربعة أنواع: حرف باتفاق وهو " إن "، وحرف على الأصح وهو " إذما " فمذهب سيبويه أنها حرف(١)، ومذهب غيره أنها اسم(٢)، والصحيح قول سيبويه لأنها قبل التركيب حكم باسميتها، لدلالتها على الزمن الماضي دون شيء آخر، ولقبولها التنوين، والإضافة إليها، وأما بعد التركيب، فمدلولها بالإجماع المجازاة وهو من معاني الحروف، فمن ادعى لها مدلولًا آخر، فعليه البيان(٣) واسم باتفاق، وهو: " من، وما، ومتى، وأي، وأين، وأيان، وأنى، وحيثما ".

واسم على الأصح وهو: مهما.

إنما عملت هذه الأدوات في شيئين، لإفادتها ربط الثاني بالأول فكأنهما شيء واحد، وسمي الأول شرطًا لتعليق الحكم عليه، والثاني جوابًا وجزاءً لترتبه على الأول (٤).

وتلحق بهذه الأدوات " لو " فهي تستعمل استعمالين.

الأول: مصدرية، وعلامتها صحة وقوع أن موقعها نحو وددت لو قام زيد أي قيامه.

---

(١) الكتاب لسيبويه تحقيق: عبد السلام هارون: ٢٥٧/٣، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة.

(٢) المقتضب للمبرد تحقيق: د. محمد عبد الخالق عظيمة: ٤٦/٢، ط: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة.

(٣) شرح المقرب: ٨٩١/٢.

(٤) منار السالك إلى أوضح المسالك لمحمد عبد العزيز النجار: ٢١٥/٢، ٢١٦، مطبعة الفجالة الجديدة ١٩٥٤م.

الثاني: أن تكون شرطية [١].

وأما ، ولولا، ولوما، وهذه من جملة أدوات الشرط لاحتياجها إلى جواب [٢].

" أما " حرف تفصيل، وهي قائمة مقام أداة الشرط وفعل الشرط، والمذكور بعدها جواب الشرط، نحو: أما زيد فمنطلق، والتقدير: فمهما يك من شيء فزيد منطلق.

ولـ " لولا، ولوما " استعمالان.

أحدهما: يدلان فيه على امتناع شيء لثبوت غيره، ولابد لهما من جواب، نحو: لولا زيد لأكرمتك، ولوما زيد لم يجيء عمرو.

الثاني: وهو الدلالة على التحضيض، ويختصان حينئذ بالفعل، نحو: لولا ضربت زيدًا، ولوما قتلت عمروًا [٣].

تقدم جواب الشرط:

إذا تقدم على أداة الشرط ما هو جواب من حيث المعنى فليس عند البصريين بجواب له لفظًا ؛ لأن الشرط صدر الكلام، بل هو دال عليه وكالعوض عنه، وعند

---

(١) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ٤٧/٤، ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق: شرح ابن عقيل، تأليف: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة دار التراث، القاهرة ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

(٢) شرح المكودي " عبد الرحمن بن علي بن صالح " على ألفية ابن مالك صـ٢٢٣، وبهامشه حاشية العلامة الملوي، المطبعة الخيرية، ط: الأولى ١٣١٨هـ.

(٣) شرح الكافية الشافية لابن مالك، تحقيق: أحمد يوسف القادري: ١٤٠/٢، ط: دار صادر، بيروت، لبنان، ط: الأولى ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م .

الكوفيين هو جواب في اللفظ أيضًا، لم ينجزم ولم يصدر بالفاء لتقدمه، لأن الجواب مجزوم عندهم بالجوار، فهو عندهم جواب واقع في موقعه، ولا يجوز عند البصريين أن يقال هذا المقدم هو الجواب، الذي كان مرتبته التأخر عن الشرط تقدم على أداته، لأنه لو كان هو الجواب للزم جزمه وللزم الفاء، فرتبة الجزاء عند البصريين بعد الشرط، وعند الكوفيين قبل الأداة [١].

الاعتراض بين الشرط والجزاء:

يجوز اعتراض القسم والدعاء والنداء والاسمية الاعتراضية بين الشرط والجزاء نحو: إن تأتني والله آتك، وإن تأت غفر الله لك آتك، وإن تأتني يا زيد آتك، وإن تأتني ولا فخر أكرمك [٢].

العامل في الشرط والجواب:

أداة الشرط عاملة في فعل الشرط، واختلف في العامل في الجزاء فقيل: أداة الشرط وحدها أيضًا كما عملت في الشرط، وقيل: أداة الشرط وفعل الشرط، وعند الكوفيين عامل الجزم في الجواب الجوار [٣].

(١) شرح الكافية لنجم الدين الرضي الاستراباذي مع تعليقات العلامة المحقق: السيد الشريف: ٢٣٩/٢، طبعة سنة ١٢٧٥هـ ، الهند.

(٢) شرح الكافية للرضي: ٢٣٨/٢.

(٣) ارتشاف الضرب من كلام العرب لأبي حيان، تحقيق: د. مصطفى أحمد النحاس ٥٥٧/٢، مطبعة النسر الذهبي، ط: الأولى ١٤٠٤هـ، وهمع الهوامع للسيوطي، تحقيق: عبد العال مكرم: ٣٣١/٤، الكويت ١٣٩٤هـ.

حذف الشرط والجواب:

يجوز حذف فعل الشرط، وإبقاء الجواب عند قيام القرائن، نحو قوله:

فَطَلِّقهـــا فَلَســـتَ لَهـــا بِأَهـــلٍ ∴ وَإِلّا شَـقَّ مَفرِقَـكَ الحُسـامُ (١)

أي: إن لا تطلقها.

وكذا يجوز حذف الجواب، إذا دلّ عليه دليل نحو قوله تعالى: { وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَل لِّلّهِ الأَمْرُ جَمِيعًا } (٢).

ويجوز حذفهما معًا في الشعر، إذا " كان في الكلام ما يدل على ذلك قول رؤبة:

قالَتْ بَنـاتُ العَمِّ يـا سَلْمَي وَإِنْ ∴ كـانَ فَقِيـرًا مُعْدِمًا قالَـتْ وَإِنْ (٣)

أي: وإن كان عييًا معدمًا تمنيته.

أو في نادر كلامهم نحو قولهم: افعل هذا إمّا لا، أي: إن كنت لا تفعل غيره فافعله (٤).

---

(١) الشاهد قوله: وإلا شق، حيث حذف فعل الشرط وبقى الجواب، والتقدير: وإن لا تطلقها شق ... والبيت من بحر الوافر، للأحوص، الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني: ١٥/٢٣٤، ط: دار الكتب المصرية، وخزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي، تحقيق: عبدالسلام هارون: ٢/١٥١، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٩هـ.

(٢) سورة: الرعد، جزء من الآية [٣١] وسوف يأتى الكلام عن هذه الآية بالتفصيل .

(٣) من الرجز، ديوان رؤبة صـ١٨٦، نشر ليبسك برلين ١٩٠٣م.

(٤) شرح المقرب: ٢/٨٩٦، ٨٩٧.

المبحث الأول

دور السياق في تقديم جواب الشرط المحذوف

السياق هو ما يحيط بالوحدة اللغوية المستعملة في النص، أو هو قيود التوارد المعجمي التي تراعى عند استعمال أكثر من وحدة لغوية، أو هو نص لغوي يتسم بسعة نسبية ويؤدي معنى متكاملًا، أو هو الأحوال والمواقف الخارجية ذات العلاقة بالكلام [١].

والسياق يتكون من عنصرين لابد من الاعتداد بها، وهما:

١- المعنى المقالي ويشمل المعنى الوظيفي (النظام الصوتي والصرفي والنحوي) والمعنى المعجمي " العلاقات العرفية " والقرائن المقالية الأخرى.

٢- المعنى المقامي ويشمل ظروف أداء المقال + القرائن الحالية [٢]، ويدخل في المعنى المقالي – أيضًا – ما يشمل السياق الثقافي الذي يتضمن قائمة بالفوارق الاجتماعية والسمات الشخصية والثقافية للمتحدث والمتحدث إليه، ودور كل منهما في المجتمع [٣].

فللسياق أهمية كبيرة في تحديد المعنى المراد، فالإحاطة بالمعنى وإدراكه

(١) دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، د. عبد الفتاح البركاوي صـ٤٥، ط: الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان صـ٣٣٩، ط: عالم الكتب، القاهرة، ومدخل إلى علم اللغة الحديث، د. عبد الفتاح البركاوي صـ١٧٤، ١٧٥، ط: الرابعة ٢٠٠٥م.

(٣) في الدلالة اللغوية، د. عبد الفتاح البركاوي صـ٥٩، ط: الأولى، القاهرة ٢٠٠٠م.

لا يمكن أن يتم بمعزل عن السياق [١]، فالدلالة تستفاد من الموقف والعلاقات " السياق " كما تستفاد من الوضع [٢].

يقول ابن قيم الجوزية: " السياق يرشد إلى تبيين المجمل وتعيين المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته " [٣]، ومن ثم لا يحسن تقدير الجواب مخصوصًا إلا بعد العلم بالسياق [٤].

فلابد عند تقدير جوانب الشرط من النظر في سياق الآية الكريمة، فقد جانب بعض العلماء الصواب في تقدير جواب الشرط لعدم وضعهم سياق الآية في حسبانهم في قوله تعالى: { وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَل لِّلّهِ الأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَن لَّوْ يَشَاء اللّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى

(١) اللغة. ج. فندريس، تعريب: عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص صـ٢٥٢، ط: لجنة البيان العربى ١٣٧٠هـ ١٩٥٠م، ودراسات في فقه اللغة، د. صبحي الصالح صـ٣١٢، ط: دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، والمعجم العربي دراسة ونقدًا، د. شعبان عبدالعظيم صـ٢٦ ط: الثانية، مصر، وعلم الدلالة العربي النظرية والتطبيق، د. فايز الداية صـ٣٣، دار الفكر، دمشق، ط: الثانية ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

(٢) دلالة الألفاظ العربية وتطورها، د. مراد كامل صـ٢٢، ط: مصر، ودلالة اللفظ وأطوارها وأنواعها، د. عيد الطيب صـ٤، مطبعة الأمانة ١٤٠٣هـ، وطرفا التشبيه القرآني بين السياق والدلالة، رسالة دكتوراه للباحث/ محمود حسن مخلوف صـ١٥، بكلية اللغة العربية بالقاهرة.

(٣) بدائع العقائد لابن قيم الجوزية: ٩/٤، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

(٤) البرهان في علوم القرآن للزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم: ١٨٣/٣، ط: دار الفكر، بيروت.

يَأْتِيَ وَعْدُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ } [1].

فيرى بعض العلماء أن جواب " لو " في قوله تعالى: { وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ... } محذوف لانسياق الكلام إليه بحيث يتلقفه السامع من التالي.

ولما في ظاهر الكلام من الدلالة عليه، كما قال امرؤ القيس:

فَلَو أَنَّها نَفسٌ تَموتُ جَميعَـــةً ∴ وَلَكِنَّها نَفسٌ تُساقِطُ أَنفُسا [2]

والمقصود هو بيان شأن القرآن العظيم، والمعنى: لو أن قرآنًا سيرت به الجبال أي بإنزاله أو بتلاوته عليها وزعزعت عن مقارها كما فعل ذلك بالطور لموسى (عليه السلام) بعصاه أو جعلت قطعًا متصدعة { أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى } أي بعد أن أحيى بقراءته كما أحييت لعيسى (عليه السلام) لكان ذلك هذا القرآن لكونه الغاية القصوى في الانطواء على عجائب آثار قدرة الله وهيبته (ﷻ) كقوله تعالى: { لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ } [3].

لا في الإعجاز إذ لا مدخل له في هذه الآثار، ولا في التذكير والإنذار والتخويف، لاختصاصها بالعقلاء مع أنه لا علاقة لها بتكليم الموتى، كأنه قيل لو أن ظهور أمثال ما اقترحوه من مقتضيات الجملة لكان مظهرها هذا القرآن الذي لم يعدوه آية وفيه من تفخيم شأنه العزيز ووصفهم بركاكة العقل ما لا يخفى { بَل لِّلّهِ الأَمْرُ جَمِيعًا } أي له الأمر الذي عليه يدور فلك الأكوان وجودًا وعدمًا، يفعل ما يشاء،

---

(١) سورة: الرعد، الآية [٣١].

(٢) البيت من بحر الطويل. ينظر: ديوان امرئ القيس، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، صـ ١٠٧، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ط: الثانية ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م، ومختار الشعر الجاهلي بشرح مصطفى السقا، صـ٨٦، ط: الحلبي ١٩٣٠م.

(٣) سورة: الحشر، جزء من الآية [٢١].

ويحكم ما يريد، لما يدعو إليه من الحكم البالغة، وهو إضراب عما تضمنته الشرطية من معنى النفي لا بحسب منطوقه، بل باعتبار موجبه ومؤداه، أي لو أن قرآنًا فعل به ما ذكر لكان ذلك هذا القرآن، ولكن لم يفعل ما فعل ما عليه الشأن الآن ؛ لأن الأمر كله له وحده، فالإضراب ليس بمتوجه إلى كون الأمر لله سبحانه بل إلى ما يؤدي إليه ذلك من كون الشأن على ما كان لما تقتضيه الحكمة من بناء التكليف على الاختيار(١).

فتقدير الجواب في رأي هؤلاء العلماء لكان هذا القرآن، وهذا التقدير مردود – وإن كان كلامهم في شأن القرآن العظيم صحيحًا – لأن الآية ما سيقت لتفضيل القرآن، بل سيقت في معرض ذم الكفار وعنادهم ويستدل على ذلك بالدلائل الآتية:

الأولى: سبب نزول هذه الآية.

ذلك أن نفرًا من مشركي مكة فيهم أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية المخزوميان جلسوا خلف الكعبة، ثم أرسلوا إلى رسول الله (ﷺ) فأتاهم، فقال له عبدالله: إن سرّك أن نتبعك فسيّر لنا جبال مكة بالقرآن فأذهبها عنا حتى تنفسح، فإنها أرض ضيقة، واجعل لنا فيها عيونًا وأنهارًا، حتى نغرس ونزرع، فلست كما زعمت بأهون على ربك من داود حين سخر له الجبال تسير معه، وسخّر لنا الريح فنركبها إلى الشام نقضي عليها مسيرتنا وحوائجنا، ثم نرجع من يومنا، فقد كان سليمان سخرت له الرياح كما زعمت، فلست بأهون على ربك من سليمان بن داود، وأحيي قصيًّا جدّك، أو من شئت أنت من موتانا نسأله، أحق ما تقول: أنت أم باطل ؟ فإن عيسى كان يحيي الموتى، ولست بأهون على الله منه، فأنزل الله

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود محمد بن محمد العمادي: ٢١/٥، ٢٢، دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان.

تعالى: { وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ } [١].

الثانية: قوله تعالى قبلها " { وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ } [٢] وبعدها في الآية نفسها { أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَن لَّوْ يَشَاء اللّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا }.

فلو قدر الجواب " لما آمنوا به "، أو " لكفروا بالرحمن " أو الجواب مقدم أي وهم يكفرون بالرحمن لو أنزلنا القرآن وفعلنا بهم ما اقترحوا [٣] لكان أشد وأولى.

والمعنى على ذلك أي لو أن قرآنًا فعل به ما فصل من التعاجيب لما آمنوا به كقوله تعالى: { وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلآئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ إِلاَّ أَن يَشَاء اللّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ } [٤] فما أضمر في الآية الكريمة التي معنا، أظهر في هذه الآية.

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري: ١٥١/١٣، ١٥٢، ط: الثالثة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٣١٨/٩، ٣١٩، ط: الثالثة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م، الناشر: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة.

(٢) سورة: الرعد، جزء من الآية [٣٠].

(٣) لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي المعروف بالخازن: ٦٨/٣، ٦٩، بهامشه مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي، طبعة ١٣٤٢هـ - ١٩٢٣م.

(٤) سورة: الأنعام، الآية [١١١]

فانظر كيف كان للسياق المقامي المتمثل في سبب نزول الآية الكريمة، وللسياق المقالي في الكلام الذي سبقها { وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ... } والكلام الذي أتى بعدها { أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَن لَّوْ يَشَاء اللّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا } الدور العظيم في الوصول إلى التقدير المناسب لجواب الشرط المحذوف.

والعنصران المقالي والمقامي – عناصر السياق – لابد من الاعتداد بهما عند أي دراسة تتجه إلى المعنى.

المبحث الثاني

الأغراض الدلالية لحذف جواب الشرط في القرآن الكريم

لا يوجد شيء في القرآن إلا وكان هو الأفضل والأجمل، وهكذا كان حذف جواب الشرط فيه، فقد كان حذفه ليضيف إلى المعنى إضافة قوية، ومن الأسرار الدلالية لحذف جواب الشرط في القرآن ما يلي:

المطلب الأول

التهويل والتفخيم

وهذا الغرض يكون في سياق مخاطبة الكفار في مشاهد يوم القيامة، والقصد منه التخويف والتهويل.

١- قال تعالى: { وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ فَقَالُواْ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } (١).

جواب لو محذوف أي لرأيت سوء منقلبهم ونحو ذلك وجاز حذفه للعلم به، ولما في الحذف من تفخيم الشأن، وهو ذهاب الوهم كل مذهب.

كما لو قلت لغلامك والله لئن قمت إليك، وسكت عن الجواب، ذهب فكره إلى أنواع المكاره من الضرب والقتل وغيرها، بخلاف ما لو قلت لأضربنك، ولمثل هذا من إرادة المبالغة (٢).

وهذا من عظمة الأداء القرآني، فهناك أحداث لا تقوى العبارات على أدائها، ولذلك يحذفها الحق (ﷻ) ليذهب كل سامع في المعنى مذاهبه التي يراها (٣).

والمعنى: ولو ترى يا محمد (ﷺ) هؤلاء العادلين بربهم الأصنام والأوثان

---

(١) سورة: الأنعام، الآية [٢٧].

(٢) جامع البيان للطبري: ١١١/٧، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري: ١٣٠/٧، طبعة ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م، دار الفكر – بيروت، على هامش جامع البيان للطبري.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي ، تحقيق: عبدالسلام عبد الشافي محمد: ٢٨٠/٢، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى ١٤٢٢هـ، ومفاتيح الغيب أو التفسير الكبير لفخر الدين الرازي: ٥٠٨/٢، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الثالثة ١٤٢٠هـ، وتفسير الشعراوي لمحمد متولي الشعراوي: ٣٥٧٧/٦، الناشر: مطابع أخبار اليوم ١٩٩٧م.

الجاحدين نبوتك " إِذْ وُقِفُواْ " بلفظ الماضي مع إذ الدال على المضى كأن هذا الأمر وقع وتحقق فكان من حقه أن يخبر عنه بلفظ الماضي، أي وقفوا على أن يدخلوا النار وهم يعاينونها، أو وقفوا عليها وهي تحتهم أو هو من قولهم وقفت على المسألة الفلانية وقوفًا، أي عرفوا حقيقتها تعريفًا، أو المراد أنهم في جوف النار غائصين فيها، فتكون على بمعنى في وجاز ؛ لأن النار دركات بعضها فوق بعض فلا يخلو من معنى الاستعلاء [1]، وهي كقوله تعالى: { وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ } [2] بمعنى في ملك سليمان [3].

٢- قال تعالى: { وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُواْ عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُواْ بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُواْ العَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ } [4].

جواب لو محذوف، والتقدير لرأيت أمرًا عظيمًا، وحذف لتعظيم شأن الوقوف ثقة بظهوره وإيذانًا بقصور العبارة عن تفصيله، وكذا مفعول ترى لدلالة ما في حيز الظرف عليه أن لو تراهم حين يوقفون على ربهم، لرأيت ما لا يتسعه التعبير [5].

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ١٣١/٧.

(٢) سورة: البقرة، جزء من الآية [١٠٢].

(٣) جامع البيان للطبري: ١١١/٧.

(٤) سورة: الأنعام، الآية [٣٠].

(٥) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود: ١٢٣/٣، والقواعد الحسان لتفسير القرآن لأبي عبد الله عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي صـ٤٧، ط: مكتبة الرشد، الرياض، الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

وقد تمسك بعض المشبهة بهذه الآية على أنه تعالى يحضر تارة ويغيب أخرى، وردّ بأن استعلاء شيء على ذات الله تعالى محال بالاتفاق، فوجب تأويل الآية لأنه كناية عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي مولاه للعتاب، أو المضاف محذوف أي على جزاء ربهم أو وعده، أو إخباره بثواب المؤمنين وعذاب الكافرين، أو هو من قولك وقفته على كذا أي أطلعته عليه [1]، ثم كان لسائل أن يقول: ماذا قال لهم ربهم إذا وقفوا عليه فأجيب: { قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ } تقرير وتوبيخ أي أليس هذا البعث كائنًا موجودًا ؟ ! { قَالُواْ بَلَى وَرَبِّنَا } أكدوا اعترافهم باليمين إظهارًا لكمال يقينهم بحقيقته، وإيذانًا بصدور ذلك عنهم للرغبة والنشاط [2].

قال ابن عباس: في القيامة مواقف ففي موقف يعترفون بما ينكرونه في الدنيا، وفي موقف ينكرون، ويقولون { وَاللّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ } [3]، { قَالَ فَذُوقُواْ العَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ } الفاء لترتيب التعذيب على اعترافهم بحقيقة ما كفروا به في الدنيا، لكن لا على أن مدار التعذيب هو اعترافهم بذلك بل هو كفرهم السابق بما اعترفوا بحقيقته الآن كما نطق به قوله – ﷻ –: { بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ } أي: بسبب كفركم في الدنيا بذلك أو بكل ما يجب الإيمان به، فيدخل كفرهم به دخولًا أوليًا، ولعل هذا التوبيخ والتقريع إنما يقع بعد ما وقفوا على النار فقالوا ما قالوا، إذ الظاهر أنه لا يبقى بعد هذا الأمر إلا العذاب [4].

والخطاب في الآية الكريمة إما لرسول الله –ﷺ– أو لكل أحد من أهل

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ١٣٣/٧.

(٢) الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية للجمل: ٢١/٢، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

(٣) سورة: الأنعام، جزء من الآية [٢٣].

(٤) إرشاد العقل السليم: ١٢٤/٣، ١٢٥، والفتوحات الإلهية: ٢١/٢.

المشاهدة قصدًا إلى بيان كمال سوء حالهم، وبلوغهم من الشناعة والفظاعة إلى حيث لا يختص استغرابها براءٍ دون راءٍ ممن اعتاد مشاهدة الأمور العجيبة، بل كل من يتأتى منه الرؤية يتعجب من هولها وفظاعتها [١].

٣- قال تعالى: { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنَزلَ اللّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ } [٢].

" ولو ترى " جواب لو محذوف لعظم الأمر[٣]، أي: ولو رأيت الظالمين في هذه الحال لرأيت عذابًا عظيمًا، وهولًا شديدًا، وفيه من التهويل والتفخيم ما فيه كل هذا أفاده حذف الجواب [٤].

وقوله: { إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ } أي شدائده، وسكراته، والغمرة

(١) إرشاد العقل السليم: ١٢٣/٣.

(٢) سورة: الأنعام، الآية [٩٣].

(٣) المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهاني، تحقيق وضبط: محمد سيد كيلانى، صـ ٣٦٥، ط: شركة ومكينة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر، ط: الأخيرة ١٣٨١هـ ١٩٦١م.

(٤) معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبى: ٢٧٢/٢، الناشر: عالم الكتب – بيروت، ط: الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، وإعراب القرآن لأبي جعفر النحاس، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم: ٢٢/٢، الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى ١٤٢١هـ، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني: ٤٤٦/٢، ط: البابي الحلبي، ط: الأولى ١٣٥٠هـ، وتحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد " التحرير والتنوير " لمحمد الطاهر بن عاشور: ٣٧٧/٧، الناشر: الدار التونسية للنشر. تونس ١٩٨٤م.

الشدة، وأصلها الشيء الذي يغمر الأشياء فيغطيها، ومنه غمرة الماء، ثم وضعت في معنى الشدائد والمكاره [١].

{ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ } قيل إنه لا قدرة لهم على إخراج أرواحهم من أجسادهم، فما الفائدة في هذا الخطاب، وأجيب بوجوه منها:

– أن المراد ولو ترى الظالمين إذا صاروا إلى غمرات الموت في الآخرة، إذا ما دخلوا جهنم، وغمرات الموت عبارة عما يصيبهم هناك من أنواع الشدائد والمكاره، والملائكة باسطوا أيديهم بالعذاب، يكلمونهم يقولون لهم أخرجوا أنفسكم من هذا العذاب الشديد إن قدرتم [٢].

– ومنها ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت عند نزول الموت بهم في الدنيا، والملائكة باسطوا أيديهم لقبض أرواحهم، يقولون لهم أخرجوا أنفسكم من هذه الشدائد وخلصوها من هذه الآفات والآلام [٣].

– ومنها هاتوا أرواحكم وأخرجوها إلينا من أجسادكم وهذه عبارة عن العنف والتشديد في إزهاق الروح من غير تنفيس وإمهال، وإنهم يفعلون بهم فعل الغريم الملازم الملح، يبسط يده إلى من عليه الحق، يقول أخرج إلى مالي عليك ولا أريم مكاني حتى أنزعه من أحداقكم [٤].

– ومنها أنه ليس بأمر وإنما هو وعيد وتقريع كقول القائل امض الآن لترى ما

---

(١) إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن لأبي البقاء العكبري: ٥٢٨/٢ على هامش الفتوحات الإلهية للحمل، ط: دار الفكر.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٤٢/٧، والفتوحات الإلهية: ٦٣/٢.

(٣) جامع البيان لابن جرير الطبري: ١٨٣/٧.

(٤) إرشاد العقل السليم: ١٦٣/٣.

يحل بك [١].

والتحقيق: أن نفس المؤمن حال النزع تنبسط في الخروج إلى لقاء ربه، ونفس الكافر تكره ذلك ويشق عليها الخروج وقطع التعلق ؛ لأنها تصير إلى العذاب.

فهؤلاء الكفار يُكْرِهُهم الملائكة على نزع الروح، وعلى فراق المألوف.

وفي الآية الكريمة دلالة على أن النفس الإنسانية شيء غير هذا الهيكل المحسوس؛ لأن المُخْرَج يجب أن يكون مغايرًا للمُخْرَج منه [٢].

٤- قال تعالى: { وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمَلآئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ } [٣].

جواب لو محذوف للإيذان بخروجه عن حدود البيان أي لرأيت أمرًا فظيعًا لا يكاد يوصف[٤]، كل هذا إنما أتى من حذف جواب الشرط.

والخطاب إما لرسول الله -ﷺ- أو لكل أحد ممن له حظ في الخطاب.

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ١٩٣/٧.

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري: ١٩٣/٧.

(٣) سورة: الأنفال، الآية [٥٠].

(٤) إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين بن أحمد مصطفى درويش: ٢٠/٤، الناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص – دمشق، ط: الرابعة ١٤١٥هـ، والمجتبى من مشكل إعراب القرآن، د. أحمد محمد الخراط: ٣٧٥/١، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة ١٤٢٦هـ، والبحر المحيط في التفسير لأبي حيان، تحقيق: صدقي محمد جميل: ٣٣٦/٥، الناشر: دار الفكر – بيروت ١٤٢٠هـ، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي تحقيق: د. أحمد محمد الخراط: ٦١٩/٥، الناشر: دار القلم – دمشق، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم: ٢١٤/٥.

معنى الآية الكريمة:

نزلت الآية في الكفار، وقيل: نزلت فيمن قتل ببدر.

والمعنى على الرأي الأول أن ملائكة الموت عند قبضها لروح الكافر تضربه على وجهه أي من جهة الأمام، وتضربه على دبره أي جهة الخلف من الظهر والأستاء، وإن كنا محجوبين عن رؤية ذلك وسماعه، والضرب يكون بسياط من نار.

وعلى الرأي الثاني قيل أن المشركين الذين قتلوا في بدر، كانت الملائكة تضرب وجوههم إذا أقبلوا على المسلمين بالسيوف، وتضرب أدبارهم إذا ولوا، وقيل: الضرب يكون للكفار في يوم القيامة.

والمقصود من الأدبار: الأستاء، ولكن الله – ﷻ – كريم يكنى، وفي تخصيص العضوين بالضرب نوع من الخزي والنكال [1].

{ وَذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ } في الكلام محذوف، استغنى بدلالة الظاهر عليه من ذكره وهو قوله ويقولون – أي: الملائكة – ذوقوا عذاب الحريق، حذفت يقولون كما حذفت من قوله تعالى: { وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا }[2]، بمعنى: يقولون ربنا أبصرنا [3]، والذوق يكون محسوسًا ومعنويًا، وقد يوضع موضع الابتلاء والاختبار، تقول: اركب هذا الفرس فذقه، وانظر فلانًا فذق ما عنده، قال الشماخ يصف فرسًا:

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ١٣/١٠.
(٢) سورة: السجدة، جزء من الآية [١٢].
(٣) جامع البيان للطبري: ١٧/١٠.

وَذاقَ فَأَعطَـتهُ مِـنَ اللـينِ جانِبـًا ∴ كَفى وَلَهَا أَن يُغرِقَ السَـهمَ حاجِزُ [١]

وأصله من الذوق بالفم [٢].

٥- قال تعالى: { وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ } [٣].

جواب لو محذوف أي لرأيت أمرًا فظيعًا لا يقادر قدره، واختلفوا فيمن المخاطب، فبعضهم يرى أن المخاطب محمد – ﷺ – والمعنى على ذلك، ولو ترى يا محمد منكري البعث يوم القيامة لرأيت العجب، أو المعنى يا محمد – ﷺ – قل للمجرم ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم لندمت على ما كان منك [٤].

وبعضهم يرى أن الخطاب لكل أحد ممن يصلح له كائنًا من كان، إذ المراد بيان كمال سوء حالهم، وبلوغها من الفظاعة إلى حيث لا يختص استغرابها واستفظاعها براءٍ دون راءٍ، ممن اعتاد مشاهدة الأمور البديعة والدواهي الفظيعة، بل كل من

(١) البيت من بحر الطويل، وهو للشماخ، الشعر والشعراء لأبى محمد عبد الله ابن مسلم ابن قتيبة الدينوري: ٦٢/١، الناشر: دار الحديث، القاهرة ١٤٢٣هـ، ولسان العرب لابن منظور: ١١١/١٠، الناشر: دار صادر – بيروت، ط: الثالثة ١٤١٤هـ.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٢٨/٨، والمعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية: ٣١٨/١ (ذوق)، ط: دار الدعوة – استانبول – تركيا.

(٣) سورة: السجدة، الآية [١٢].

(٤) إعراب القرآن للنحاس: ٢٠١/٣، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٩٥/١٤، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي: ٢٢١/٤، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الأولى ١٤١٨هـ، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم، د. محمد سيد طنطاوي: ١٤٩/١١، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – مصر ١٩٩٨م.

يتأتى منه الرؤية، يتعجب من هولها وفظاعتها. هذا ومن علل عموم الخطاب بالقصد إلى بيان أن حالهم قد بلغت من الظهور إلى حيث يمتنع خفاؤها البتة، فلا تختص رؤية راء دون راء، بل كل من يتأتى منه الرؤية فله مدخل في هذا الخطاب فقد نأى عن تحقيق الحق؛ فالمقصود بيان كمال فظاعة حالهم كما يفصح عنه الجواب المحذوف، لا بيان كمال ظهورها فإنه مسوق مساق المسلمات فتدبر[1].

معنى الآية الكريمة:

{ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ } وهم القائلون { أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَاء رَبِّهِمْ كَافِرُونَ } [2]، أو جنس المجرمين وهم من جملتهم { نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ } من الخناء والخزي عند ظهور قبائحهم التي اقترفوها في الدنيا { رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا } أي صرنا ممن يبصر ويسمع وحصل لنا الاستعداد لإدراك الآيات المبصرة والآيات المسموعة، وكنا من قبل عميًا وصمًا لا ندرك شيئًا { فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ } ادعاء منهم لصحة الأفئدة والاقتدار على فهم معاني الآيات والعمل بموجبها، كما أن ما قبله ادعاء لصحة مشعري البصر والسمع، كأنهم قالوا وأيقنا وكنا من قبل لا نعقل شيئا أصلًا، وإنما عدلوا إلى الجملة الاسمية المؤكدة { إِنَّا مُوقِنُونَ } إظهارًا لثباتهم على الايقان وكمال رغبتهم فيه، وكل ذلك للجد في الاستدعاء طمعًا في الإجابة إلى ما سألوه من الرجعة وأنى لهم ذلك، ويجوز أن يقدر لكل من الفعلين { أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا } مفعول مناسب له مما يبصرونه ويسمعونه فإنهم حينئذ يشاهدون الكفر والمعاصي على صور منكرة هائلة، ويخبرهم الملائكة بأن مصيرهم إلى النار لا محالة، فالمعنى أبصرنا قبح أعمالنا، وكنا نراها في الدنيا

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: ٨٣/٧.

(٢) سورة: السجدة، الآية [١٠].

حسنة، وسمعنا أن مردنا إلى النار، وهو الأنسب لما بعدها من الوعد بالعمل الصالح [١].

٦- قال تعالى: { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ } [٢].

جواب لو في قوله: { وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ } محذوف؛ أي لرأيت أمرًا هائلًا فظيعًا [٣].

معنى الآية الكريمة:

{ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ } أي: من الكتب القديمة الدالة على البعث.

وقيل: إن كفار مكة سألوا أهل الكتاب عن رسول الله (ﷺ) فأخبروهم أنهم يجدون نعته في كتبهم، فغضبوا فقالوا: لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي أنزل قبله من التوراة والإنجيل بل نكفر بالجميع.

وكانوا قبل ذلك يراجعون أهل الكتاب، ويحتجون بقولهم، فظهر بهذا تناقضهم وقلة علمهم.

وقيل: الذي بين يديه القيامة { وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ } أي: محبوسون في موقف الحساب، يتحاورون ويتراجعون الكلام فيما بينهم باللوم

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: ٨٢/٧، ٨٣.
(٢) سورة: سبأ، الآية [٣١].
(٣) الجامع لأحكام القرآن: ٣٠٢/١٤.

والعتاب بعد أن كانوا في الدنيا أخلاء متناصرين، مصداقًا لقوله تعالى: { الْأَخِلَّاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ }[1].

ثم ذكر – ﷺ – أي: شيء يرجع من القول بينهم، فقالوا: { يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا } في الدنيا من الكافرين { لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا } وهم القادة والرؤساء { لَوْلَا أَنتُمْ } أي: لولا إضلالكم وصدكم لنا عن الإيمان { لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ } باتباع الرسول – ﷺ – [2].

(١) سورة: الزخرف، الآية [٦٧].

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي، تحقيق: عبد الرازق المهدي: ٦٨١/٣، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – الأولى ١٤٢٠هـ، والجامع لأحكام القرآن: ٣٠٢/١٤، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: ١٣٤/٧، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، تحقيق: عبد الرحمن ابن معلا اللويحق: ٦٨٠/١، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

المطلب الثانى

المبالغة

المبالغة هو الغرض الدلالي الثاني من حذف جواب الشرط، ليضيف إلى المعنى معنى زائدًا هو المبالغة، وتقوية المعنى.

١- قال تعالى: { قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ البَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَاء اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ } (١).

جواب " إن " فى قوله: { وَإِنَّآ إِن شَاء اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ } محذوف لدلالة " إن " وما في خبرها عليه، والتقدير: إن شاء الله هدايتنا للبقرة اهتدينا، وقد توسط الشرط هنا بين جزأي الجملة فقوله " لَمُهْتَدُونَ " خبر إن واللام للابتداء وزحلقت إلى الخبر، وتقدير الكلام: وإنا لمهتدون إن شاء الله فيكون دليل الجواب متقدمًا على الشرط، والذي حسّن تقديم الشرط عليه هو الاهتمام بتعليق الهداية بمشيئة الله تعالى (٢).

معنى الآية الكريمة:

{ قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ } زيادة استكشاف عن حالها كأنهم سألوا بيان حقيقتها، بحيث تمتاز عن جميع ما عداها، مما تشاركها الأوصاف المذكورة والأحوال المشروحة في أثناء البيان، ولذلك عللوه بقولهم { إِنَّ البَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا }

(١) سورة: البقرة، الآية [٧٠].

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي: ١٨٥/٣، والجامع لأحكام القرآن: ٤٥٢/١، والفتوحات الإلهية للجمل: ٦٥/١، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي: ٣٩٠/١، والموسوعة القرآنية لإبراهيم بن إسماعيل الأبياري: ٩٠/٩، الناشر: مؤسسة سجل العرب، طبعة ١٤٠٥هـ.

يعنون أن الأوصاف المعدودة يشترك فيها كثير من البقر، ولا نهتدي بها إلى تشخيص ما هو المأمور بها، ولذلك لم يقولوا إن البقرة تشابهت إيذان بأن النعوت المعدودة ليست بمشخصة للمأمور بها، بل صادقة على سائر أفراد الجنس وفيه دلالة على أنهم ميزوها عن بعض ما عداها في الجملة وإنما بقي اشتباه بشرف الزوال، كما ينبئ عنه قولهم { وَإِنَّآ إِن شَاء اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ } مؤكدًا بوجوه من التوكيد أي لمهتدون بما سألنا من البيان إلى المأمور بذبحها [1].

٢- قال تعالى: { وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ } (٢).

جواب لو في قوله: { يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ } محذوف، والتقدير يود أحدهم طول العمر لو يعمر ألف سنة، ليسر بذلك.

معنى الآية الكريمة:

{ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ } من الوجدان العقلي وهو جار مجرى العلم، والتنكير في قوله تعالى: { عَلَى حَيَاةٍ } للتنبيه على أنه أراد حياة مخصوصة، وهي الحياة المتطاولة { وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ } عطف على ما قبله بحسب المعنى، كأنه قيل أحرص من الناس ومن الذين أشركوا، وإفرادهم بالذكر مع دخولهم في الناس للإيذان بامتيازهم من بينهم بشدة الحرص للمبالغة في توبيخ اليهود فإن حرصهم وهم معترفون بالجزاء لما كان أشد من حرص المشركين المنكرين له، دل ذلك على جزمهم بمصيرهم إلى النار، فالآية فيها توبيخ عظيم لليهود؛ لأن الذين لا يؤمنون

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود: ١/١١٢.

(٢) سورة: البقرة، الآية [٩٦].

بالمعاد ولا يعرفون إلا الحياة الدنيا لا يستبعد حرصهم عليها، فإذا زاد أهل الكتاب عليهم في الحرص، وهم مقرون بالبعث والجزاء كانوا أحقاء بالتوبيخ العظيم، { يَوَدُّ أَحَدُهُمْ } بيان لزيادة حرصهم على طريقة الاستئناف { لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ } حكاية لودادتهم، كأنه قيل ليتني أعمر { وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ } أي: وما أحدهم بمن يزحزحه أى يبعده وينجيه من العذاب تعميره، { وَاللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ} البصير في كلام العرب العالم بكنه الشيء الخبير به ومنه قولهم فلان بصير بالفقه، أي عليم بخفيات أعمالهم فهو مجازيهم بها لا محالة [1].

٣- قال تعالى: { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ } [2].

جواب لو في قوله: { وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ } محذوف [3]، للإيذان بخروجه عن دائرة البيان إما لعدم الإحاطة بكنهه، وإما لضيق العبارة عنه، وإما لإيجاب ذكره ما لا يستطيعه المعبر أو المستمع من الضجر والتفجع عليه، أي

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٣٤/٢، ٣٥، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: ١٣٢/١، ١٣٣، والفتوحات الإلهية: ٨٠/١، ٨١.

(٢) سورة: البقرة، الآية [١٦٥].

(٣) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، خرّج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: أحمد شمس الدين ١٧٠/١، ط: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ط: الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٤م، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٢٠٣/١، ط: مكتبة الصفا بالقاهرة، ط: الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م، وتفسير النسفي لأبي البركات عبد الله ابن أحمد بن محمود النسفي: ٨٧/١ ط: دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبي وشركاه، وتفسير الجلالين لجلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي:١٣٣/١، على هامش الفتوحات الإلهية، ط: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

لو علموا إذ رأوا العذاب قد حل بهم ولم ينقذهم منه أحد من أندادهم أن القوة لله جميعًا، ولا دخل لأحد في شيء أصلًا، لوقعوا من الحسرة والندم فيما لا يكاد يوصف وقرئ " ولو ترى " [1] بالتاء الفوقية على أن الخطاب للرسول – ﷺ – [2]، أو لكل أحد ممن يصلح للخطاب، فالجواب حينئذ لرأيت أمرًا لا يوصف من الهول والفظاعة.

و" إذ " للماضي وقد أضيفت هنا لما هو مستقبل يحصل يوم القيامة، لأنه لتحقق وقوعه عبر عنه بما يعبر به عن الماضي وذاك لأن خبر الله تعالى عن المستقبل في الصحة كالماضي وهو مما يتكرر في القرآن كثيرًا، وجوابها محذوف وتقديره: لرأيت أمرًا عظيمًا، ولم يأت بالجواب؛ لأن الإضمار أشد الوعيد ومثله قول القائل: لو رأيت فلانًا والسياط مأخذه ! [3].

فحذف جواب " لو " أبلغ في الوعد والوعيد ؛ لأن الموعود والمتوعد إذا عرف قدر النعمة والعقوبة، وقف ذهنه مع ذلك المعين، وإذا لم يعرف ذهب وهمه إلى ما هو الأعلى من ذلك [4].

معنى الآية الكريمة:

(١) النشر في القراءات العشر لابن الجزري، قدم له الأستاذ/ علي محمد الصباع، وخرج آياته الشيخ/ زكريا عميرات: ٢/٢١٦، ط: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ط: الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: د. محيي الدين رمضان: ١/٢٧٢، ط: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: الرابعة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٢/٢٠٣ – ٢٠٥، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: ١/١٨٦، والفتوحات الإلهية: ١/١٣٣.

(٤) إملاء ما من به الرحمن للعكبري: ١/٣١٥.

{ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَادًا } أي امثالًا وهم رؤساؤهم الذين يتبعونهم فيما يأتون وما يذرون لا سيما في الأوامر والنواهي {يُحِبُّونَهُمْ} مبني على آرائهم الباطلة في شأنها من وصفهم بما لا يوصف به إلا العقلاء، والمحبة ميل القلب، ومحبة العبد لله سبحانه إرادة طاعته في أوامره ونواهيه، والاعتناء بتحصيل مراضيه، فمعنى يحبونهم يطيعونهم ويعظمونهم { كَحُبِّ اللّهِ } أي يحبونهم حبًا كائنًا كحبهم لله تعالى، أي: يسوون بينه تعالى وبينهم في الطاعة والتعظيم {وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلّهِ} أي: أشد من حب أهل الأوثان لأوثانهم والتابعين لمتبوعهم { وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ } أي: باتخاذ الأنداد ووضعها موضع المعبود { إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ } المعد لهم يوم القيامة أي: لو علموا إذا عاينوه، وإنما أوثر صيغة المستقبل لجريانها مجرى الماضي في الدلالة على التحقق في إخبار علام الغيوب {أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعًا} ساد مسد مفعولي يرى { وَأَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ } عطف عليه وفائدته المبالغة في تهويل الخطب وتفظيع الأمر، فإن اختصاص القوة به تعالى لا يوجب شدة العذاب، لجواز تركه عفوًا مع القدرة عليه [1].

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٢٠٤/٢، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ١٨٥/١، ١٨٦.

٤- قال تعالى: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ } [١].

جواب لو في قوله: { أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ } محذوف، تقديره: لا يتبعوهم أو أفكانوا يتبعونهم [٢].

وهذا على عكس ما يراه أبو السعود، فهو يرى أن لو في مثل هذا المقام ليست لبيان انتفاء الشيء في الزمان الماضي لانتفاء غيره فيه، فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه، بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق بالذات أو بالواسطة من الحكم الموجب أو المنفي على كل حال مفروض من الأحوال المقارنة له على الإجمال بإدخالها على أبعدها منه وأشدها منافاة له، ليظهر بثبوته أو انتفائه معه ثبوته، وانتفاؤه مع ما عداه من الأحوال بطريق الأولوية، لما أن الشيء متى تحقق مع المنافي القوى، فلأن يتحقق مع غيره أولى، ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الأحوال [٣].

سبب نزول الآية الكريمة:

قيل نزلت في المشركين أمروا باتباع القرآن وسائر ما أنزل الله تعالى من الحجج الظاهرة والبينات الباهرة، فجنحوا للتقليد، الموصول " ما " إما عبارة عما سبق من اتخاذ الأنداد وتحريم الطيبات ونحو ذلك، وإما باق على عمومه وما ذكر داخل فيه دخولًا أوليا.

---

(١) سورة: البقرة، الآية [١٧٠].

(٢) البرهان في علوم القرآن: ١٨٦/٣، وإملاء ما من به الرحمن: ٣٢٨/١، ٣٢٩، والفتوحات الإلهية: ١٣٦/١.

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: ١٨٩/١.

وقيل نزلت في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله (ﷺ) إلى الإسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا لأنهم كانوا خيرًا منا وأعلم، فعلى هذا يعم ما أنزل الله تعالى التوراة لأنها أيضًا تدعو إلى الإسلام.

ومعنى قوله تعالى: { أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ } استئناف مسوق من جهته تعالى ردًا لمقالتهم الحمقاء، وإظهارًا لبطلان آرائهم، والهمزة لإنكار الواقع واستقباحه، والتعجيب منه لا لإنكار الوقوع(١).

والآية تنهى عن التقليد في الباطل، لأن الله أنكر على المشركين تقليدهم لغيرهم في الكفر والمعصية.

٥- قال تعالى: { وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ } (٢).

في جواب لو قولان:

الأول : يرى أن جواب لو مذكور وهو قوله {لَهَمَّت}، واستشكل كون قوله { لهمت } جوابًا ؛ لأن اللفظ يقتضي انتفاء همهم بذلك لأن لولا تقتضي انتفاء جوابها لوجود شرطها، والغرض أن الواقع كونهم هموا على ما يروى في القصة، وقد ردّ صاحب هذا الرأي بأحد وجهين: إما بتخصيص الهم أي لهمت هما يؤثر عندك، وإما بتخصيص الإضلال أي يضلونك عن دينك وشريعتك وكلا هذين الهمين لم يقع.

(١) التفسير الكبير للرازي: ١٨٨/٥، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي: ١٩٩/١، والبحر المحيط لأبي حيان: ١٠٢/٢، والتفسير الواضح، د/ محمد محمود حجازي: ٩٦/١، الناشر: دار الجيل الجديد، بيروت، ط: العاشرة ١٤١٣هـ.

(٢) سورة النساء، جزء من الآية (١١٣).

الثاني: جواب " لو " محذوف وتقديره لولا فضل الله عليك لأضلوك.

وفي الحقيقة المنفي هو أثر همهم أي الذي هموا به وهو الضلال، والمعنى انتفى ضلالك الذي هموا به لوجود فضل الله عليك بالعصمة والحفظ [١].

وهذه الآية من جملة آيات نزلت لتبرئ اليهودي وتدين طعمة بن أبيرق، فقد روي أن رجلًا من الأنصار يقال له طعمة بن أبيرق من بني ظفر سرق درعًا من جاره قتادة ابن النعمان في جراب دقيق، فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه فخبأها عند زيد بن السمين اليهودي، فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد، وحلف ما أخذها وماله بها علم فتركوه، واتبعوا أُثر الدقيق حتى انتهى إلى منزل اليهودي فأخذوها، فقال دفعها إليّ طعمة وشهد له ناس من اليهود، فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا إلى رسول الله -ﷺ- فسألوه أن يجادل عن صاحبهم، وشهدوا ببراءته وسرقة اليهودى، فهم رسول الله - ﷺ - أن يفعل فنزلت [٢].

٦- قال تعالى: { إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلاء دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَإِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } [٣].

جواب من محذوف دل عليه ما بعده { فَإِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }، وتقديره: يغلب، وهذا جواب لهم من جهته تعالى وردّ لمقالتهم [٤].

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: ٢/٢٣١، والفتوحات الإلهية: ١/٤٢٤.

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية: ٢/١٠٩، وزاد المسير في علم التفسير: ١/٤٦٩، وتفسير المراغي لأحمد بن مصطفى المراغي: ٥/١٤٧، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط: الأولى ١٣٦٥هـ ١٩٤٦م.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٤٩.

(٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٤/٢٧، والفتوحات الإلهية ٢/٢٤٩.

معنى الآية الكريمة:

يبين الله – ﷻ – في هذه الآية سخرية المنافقين ومن في قلوبهم مرض – وهم الذين لم تطمئن قلوبهم بالإيمان بعد، وبقي فيها نوع شبهة، وقيل هم المشركون – سخرية بالمؤمنين عندما خرجوا لملاقاة الكفار في بدر وهم ثلثمائة وبضعة عشر، والمشركون زهاء ألف[١]، ويوضح سبحانه أن الذي يعتمد على الله يغلب وينتصر، لأن الله – ﷻ – عزيز: غالب لا يذل من توكل عليه، واستجار به وإن قل، حكيم: يفعل بحكمته البالغة ما تستبعده العقول وتحار في فهمه ألباب الفحول [٢].

٧- قال تعالى: { قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ } [٣].

جواب لو محذوف، أي: لرددت أهل الفساد وحلت بينهم وبين ما يريدون، أو لبطشت بكم، أو لفعلت بكم ما فعلت وصنعت ما صنعت، كقوله تعالى: { وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى } [٤] [٥].

فقد حذف جواب لو لدلالة الكلام عليه، وأن معناه مفهوم وأفاد حذفه المبالغة

---

(١) صحيح ابن حبان بترتيب بن بليبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط: ١٢٠/١١، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، الثانية ١٩٩٣م، والآحاد والمثانى لأحمد بن عمر الشيبانى، تحقيق: باسل فيصل أحمد: ٢٦٠/١، نشر: دار الراية، الرياض، الأولى ١٩٩١م، والمعجم الكبير للطبرانى، تحقيق: حمدى بن عبد المجيد السلفى: ٢٨٩/١١، نشر: مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الثانية ١٩٨٣م .

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٢٦/٤، ٢٧.

(٣) سورة هود، الآية: ٨٠.

(٤) سورة الرعد، الآية: ٣١.

(٥) جامع البيان لابن جرير الطبري: ٨٦/١٢، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: ٢٢٨/٤، ٢٢٩، والفتوحات الإلهية: ٤١٤/٢.

في صنيع سيدنا لوط – عليه السلام – والآية جاءت في سياق وصول رسل الله إلى لوط، وأراد قوم لوط بهم الفاحشة { قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً } لما رأى استمرارهم في غيهم، تمنى لو وجد عونًا على ردهم، { أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ } عطف على { أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً } لما فيه من معنى الفعل، أي لو قويت على دفعكم أو آويت إلى ناصر عزيز قوي، أتمنع به عنكم شبّهه بركن الجبل في الشدة والمنعة.

روي أنه – عليه السلام – أغلق بابه والملائكة معه في الدار، وهو يناظر قومه ويناشدهم من وراء الباب، وهم يعالجون تسور الجدار، فلما رأت الملائكة ما لقي من الجهد والكرب والنصب بسببهم، قالوا: يا لوط إن ركنك لشديد، وأنهم أتيهم عذاب غير مردود، وإنا رسل ربك، فافتح الباب ودعنا وإياهم، ففتح الباب فضربهم جبريل بجناحه، وقيل: أخذ جبريل قبضة من تراب فأذراها في وجوههم، فأرسل الله إلى عين من بَعُد ومن قرُب من ذلك التراب فطمس أعينهم، فلم يعرفوا طريقًا، ولا اهتدوا إلى بيوتهم، وجعلوا يقولون: النجاء النجاء ! فإن في بيت لوط قومًا هم أسحر من على وجه الأرض، وقد سحرونا فأعموا أبصارنا، وجعلوا يقولون: يا لوط كما أنت حتى تصبح فسترى، يتوعدونه [1].

٨- قال تعالى: { وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ } [2].

(١) جامع البيان لابن جرير الطبري: ٨٧/٢، ٨٨، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٧٨/٩، ٧٩.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٢٤.

جواب لولا محذوف يدل عليه الكلام، أي لجامعها، أو لولا رؤيته برهان ربه لهم بها [١] لكن امتنع همه بها لوجود برهان ربه، فلم يحصل منه هم البتة كقولك لولا زيد لأكرمتك فالمعنى: أن الإكرام امتنع لوجود زيد، وبهذا يتخلص من الإشكال الذي يورد هنا، وهو كيف يليق بنبي أن يهم بامرأة، أو لكان ما كان، أو لولا مشاهدة برهان ربه في شأن الزنى لجرى على موجب جبله الجبلي، ولكنه حيث كان مشاهدًا له من قبل، استمر على ما هو عليه من قضية البرهان [٢].

وفائدة هذه الشرطية بيان أن امتناعه – ﷺ – لم يكن لعدم مساعدة من جهة الطبيعة بل لمحض العفة والنزاهة، مع وفور الدواعي الداخلية، وترتب المقدمات الخارجية الموجبة لظهور الأحكام الطبيعية. هذا وقد نص أئمة الصناعة على أن لولا في أمثال هذه المواقع جار من حيث المعنى لا من حيث الصيغة مجرى التقييد للحكم المطلق، كما في مثل قوله تعالى: { إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا }[٣] فلا يتحقق هناك هم أصلا، وقد جوز أن يكون " وهم بها " جواب لولا، جريًا على قاعدة الكوفيين في جواز التقديم[٤]، فالهم حينئذٍ على معناه الحقيقي، فالمعنى لولا أنه قد شاهد برهان ربه لهم بها كما همت به، ولكن حيث انتفى عدم المشاهدة بدليل استعصامه وما يتفرع عليه انتفى الهم رأسًا [٥].

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن: ١٣/٣.
(٢) الجامع لأحكام القرآن: ١٦٩/٩، والفتوحات الإلهية: ٤٤٦/٢، وفتح القدير: ٥٨٣/٢.
(٣) سورة الفرقان، جزء من الآية: ٤٢.
(٤) شرح الكافية الشافية لابن مالك، تحقيق: أحمد يوسف القادري: ١٢٨/٢.
(٥) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: ٢٦٦/٤.

معنى الآية الكريمة:

يوضح الله – ﷻ – كيف حاولت امرأة العزيز الإيقاع بنبي الله يوسف – عليه السلام – بالمراودة وتغليق الأبواب ودعوته – عليه السلام – إلى نفسها، ومال إليها يوسف – عليه السلام – ميلًا بمقتضى الطبيعة البشرية وشهوة الشباب لا يكاد يدخل تحت التكليف، لا أنه قصدها قصدًا اختياريًا، لولا أن رأى حجج الله الباهرة الدالة على كمال قبح الزنى وسوء سبيله، والمراد برؤيته لها كمال إيقانه بها ومشاهدته لها مشاهدة وصلت إلى مرتبة عين اليقين، الذي تتجلي هناك حقائق الأشياء بصورها الحقيقية وتنخلع عن صورها المستعارة، فرأى الزنى في حد ذاته أقبح ما يكون، وأوجب ما يجب أن يحذر منه، ولذلك فعل ما فعل من الاستعصام، والحكم بعدم إفلاح من يرتكبه، كذلك لنبعد عنه السوء على الإطلاق، والفحشاء والزنى وأفرده لأنه مفرط في القبح، فهو – عليه السلام – من عبادنا المخلصين، الذين أخلصهم الله تعالى لطاعته بأن عصمهم عما هو قادح فيها [1].

٩- قال تعالى: { لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ } [2].

جواب لو محذوف للتفخيم والتهويل، والتقدير: لو علموا الوقت الذي { لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ } وعرفوه لما استعجلوا الوعيد، أو لعلموا صدق الوعد، أو لو علموه لما أقاموا على الكفر وآمنوا، وقيل: لو يعلمون الوقت الذي يستعجلونه، وهو وقت صعب شديد، تحيط بهم النار من أمامهم ومن خلفهم، ولا يقدرون على دفعها عن أنفسهم، ولا يجدون ناصرًا

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: ٤/٢٦٦، ٢٦٧.

(٢) سورة: الأنبياء، الآية [٣٩].

ينصرهم، لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال، ولكن جهلهم به، هو الذي هوّنه عليهم.

وقيل: لو يعلم هؤلاء الكفار المستعجلون عذاب ربهم، ماذا لهم من البلاء، حين تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون، فلا يكنون عن وجوههم النار التي تلفحها، ولا عن ظهورهم، فيدفعونها عنها بأنفسهم ولا هم ينصرون، يقول ولا لهم ناصر ينصرهم فيستنقذهم حينئذٍ من عذاب الله، لما أقاموا على ما هم عليه مقيمون من الكفر بالله، ولسارعوا إلى التوبة منه، والإيمان بالله، ولما استعجلوا لأنفسهم البلاء [1].

وقيل: لو لم يستمر عدم علمهم بالوقت الذي يستعجلونه، بقولهم متى هذا الوعد من الحين، الذي تحيط بهم النار فيه من كل جانب، وتخصيص الوجوه والظهور بالذكر بمعنى القدام والخلف لكونهما أشهر الجوانب، واستلزم الإحاطة بهما الإحاطة بالكل، بحيث لا يقدرون على دفعها بأنفسهم من جانب من جوانبهم، { وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ } من جهة الغير في دفعها، لو لم يستمر ذلك لما فعلوا ما فعلوا من الاستعجال، ويجوز أن يكون " يعلم " متروك المفعول، منزلًا منزلة اللازم، أي لو كان لهم علم لما فعلوه، وقوله تعالى { حِينَ لَا يَكُفُّونَ } استئناف مقرر لجهلهم ومبين لاستمراره إلى ذلك الوقت كأنه قيل حين يرون ما يرون يعلمون حقيقة الحال [2].

(١) جامع البيان لابن جرير الطبري: ٢١/١٧، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٢٩٠/١١.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: ٦٨/٦.

١٠- قال تعالى: { قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ } [١].

جواب لو محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه أي لعلمتم يومئذ قلة لبثكم فيها كما علمتم اليوم، ولعملتم بموجبه ولم تخلدوا إليها [٢].

أفاد حذف الجواب التفخيم والتهويل لحال الكفار يوم القيامة، فعندما سألهم الله (ﷻ) عن مكثهم في الدنيا، قالوا ليس من شأننا أن نعدها لما نحن فيه من العذاب، فاسأل من يقدر أن يلقي إليه فكره، وقيل أرادوا بقولهم لبثنا يومًا أو بعض يوم، تصغير لبثهم وتحقيره بالإضافة إلى ما وقعوا فيه، وعرفوه من دوام العذاب، وقد صدقهم الله في ذلك حيث قال: { إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا } ووبخهم على غفلتهم التي كانوا عليها بقوله: { لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ } أي لو علمتهم البعث والحشر لما كنتم تعدونه طويلا [٣].

١١- قال تعالى: {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ }[٤]

جواب لولا محذوف لتهويله والإشعار بضيق العبارة عن حصره، وتقديره: لهلكتم، أو لم يبق لكم باقية، أو لم يصلح أمركم، أو لنال الكاذب منكم أمر عظيم.

وقيل: لولا تفضله تعالى عليكم ورحمته، وأنه تعالى مبالغ في قبول التوبة، حكيم في جميع أفعاله وأحكامه التي من جملتها ما شرع لكم من حكم اللعان، لكان

(١) سورة: المؤمنون، الآية [١١٤].
(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: ١٥٣/٦.
(٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري: ٣٤/١٨، ٣٥.
(٤) سورة: النور، الآية [١٠].

ما كان مما لا يحيط به نطاق البيان [١].

وقيل: لما ستر عليكم هذه الفاحشة ولما هداكم إلى مصلحة اللعان بالحكم فيه بهذا الحد، ولهذا عقبه بقوله: { وَأَنَّ اللَّـهَ تَوَّابٌ } بالستر عليكم { حَكِيمٌ } بإعلامكم بما يتوجه على الملاعن [٢].

يقول الإمام الطبري في شرح هذه الآية الكريمة وتقدير جواب لولا: " لولا فضل الله عليكم أيها الناس، ورحمته بكم، وأنه عوّاد على خلقه بلطفه وطوله، حكيم في تدبيره إياهم وسياسته لهم، لعاجلكم بالعقوبة على معاصيكم، وفضح أهل الذنوب منكم بذنوبهم، ولكنه ستر عليكم ذنوبكم، وترك فضيحتكم بها عاجلًا، رحمة منه بكم وتفضلًا عليكم، فاشكروا نعمه، وانتهوا عن التقدم عما عنه نهاكم من معاصيه، وترك الجواب في ذلك اكتفاء بمعرفة السامع المراد منه "[٣].

والآية جاءت في سياق الحديث عن اللعان، وحكمة الله تعالى في مشروعية اللعان، أنه تعالى لو لم يشرع لهم ذلك لوجب على الزوج حد القذف مع أن الظاهر صدقه، لأنه أعرف بحال زوجته، وأنه لا يفتري عليها لاشتراكهما في الفضاحة، وبعد ما شرع لهم ذلك، لو جعل شهاداته موجبة لحد الزنا عليها لفات النظر لها، ولو جعل شهاداتها موجبة لحد القذف عليه لفات النظر له، ولا ريب في خروج الكل عن سنن الحكمة والفضل والرحمة، فجعل شهادات كل منهما مع الجزم بكذب أحدهما حتمًا دارئة بما توجه إليه من الغائلة الدنيوية، وقد ابتلى الكاذب منهما في تضاعيف

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي: ١٨٧/٣، وإرشاد العقل السليم: ١٥٩/٦.

(٢) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق التنزيل للإمام يحيى بن حمزة العلوي: ١١٣/٢، ط: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

(٣) جامع البيان لابن جرير الطبري: ٦٨/١٨.

شهاداته من العذاب بما هو أتم مما درأته عنه وأطم، وفي ذلك من أحكام الحكم البالغة، وآثار التفضل والرحمة ما لا يخفى، أما على الصادق فظاهر، وأما على الكاذب فهو إمهاله والستر عليه في الدنيا، ودرء الحد عنه وتعريضه للتوبة، سبحانه ما أعظم شأنه وأوسع رحمته وأدق حكمته [١].

١٢- قال تعالى: {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّه رَؤُوفٌ رَحِيمٌ}[٢]

جواب لولا محذوف لمعرفة السامع بالمراد من الكلام بعده، وهو قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاء وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } [٣][٤]، أو لدلالة ما قبله عليه " [٥] { إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } [٦].

والغاية من حذفه المبالغة والإشعار بضيق العبارة عن حصره، وتقديره: لافتضح فاعل ذلك، أو لعجل عذاب فاعل ذلك [٧] أو لعجل لكم العذاب سبب افتراء الكذاب والتقول بما لم يكن [٨].

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: ١٥٩/٦، ١٦٠.

(٢) سورة: النور، الآية [٢٠].

(٣) سورة: النور، الآية [٢١].

(٤) جامع البيان للطبري: ٨٠/١٨، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٢٠٥/١٢.

(٥) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ١٦٤/٦.

(٦) سورة: النور، الآية [١٩].

(٧) البرهان في علوم القرآن ١٨٧/٣.

(٨) جامع البيان لابن جرير الطبري ٨٠/١٨.

والآية جاءت في سياق الحديث عن حديث الإفك يقول تعالى ولولا أن الله تفضل عليكم أيها الناس ورحمكم، وأن الله ذو رأفة وذو رحمة بخلقه، لهلكتم فيما أفضتم فيه وعاجلتكم من الله العقوبة (١).

أو لولا أني قضيت أن أتفضل عليكم في هذه الدنيا بضروب النعم، التي من جملتها الإمهال للتسوية، وأن أترحم عليكم في الآخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الإفك (٢).

١٣- قال تعالى: { وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } (٣).

جواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه، أي لأبدت وقيل: كادت تقول وا ابناه (٤).

معنى الآية الكريمة:

{وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا} صفرًا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد فرعون { إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ } أي: إنها كادت لتظهر بموسى أي بأمره وقصته من فرط الحيرة والدهشة { لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا } بالصبر والثبات { لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } أي: المصدقين بوعد الله (ﷻ) أو من الواثقين بحفظه، لا بتبني فرعون وتعطفه (٥).

---

(١) الطراز للعلوي ١١٣/٢.

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري ٦٤/١٨.

(٣) سورة: القصص، الآية [١٠].

(٤) الجامع لأحكام القرآن الكريم: ٢٥٥/١٣، وإرشاد العقل السليم: ٥/٧.

(٥) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرن الكريم: ٥/٧.

١٤ـ قال تعالى: { وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } (١).

جواب لولا الأولى { وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ } وتقديره، أي لولا احتجاجهم بترك الارسال إليهم لعاجلناهم بالعقوبة، أو لولا ذلك لم يحتج إلى إرسال الرسول مواترة الاحتجاج، أو لأصابتهم مصيبة(٢).

يقول الإمام أبو السعود: " وجواب لولا الأولى محذوف ثقة بدلالة الحال عليه، والمعنى لولا قولهم هذا عند إصابة عقوبة جناياتهم التي قدموها ما أرسلناك، لكن لما كان قولهم ذلك محققًا لا محيد عنه أرسلناك قطعًا لمعاذيرهم بالكلية " (٣).

معنى الآية الكريمة:

هؤلاء الكفار كفار قريش، وقيل: اليهود غير معذورين إذ بلغتهم الشرائع السابقة والدعاء إلى التوحيد، ولكن تطاول العهد، فلو عذبناهم فقد يقول قائل منهم طال العهد بالرسل، ويظن أن ذلك عذر ولا عذر لهم بعد أن بلغهم خبر الرسل، ولكن أكملنا إزاحة العذر، وأكملنا البيان فبعثناك يا محمد إليهم، وقد حكم الله بأنه لا يعاقب عبدًا إلا بعد إكمال البيان والحجة وبعثة الرسل (٤).

١٥. قال تعالى: { وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ

(١) سورة: القصص، الآية [٤٧].
(٢) البرهان في علوم القرآن: ١٨٧/٣.
(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: ١٧/٧.
(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٢٩٣/١٣.

أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ } [١].

جواب لو محذوف للتفخيم والتهويل، والمعنى: لو أنهم كانوا يهتدون لأنجاهم الهدى، ولما صاروا إلى العذاب، وقيل: أي لو أنهم كانوا يهتدون ما دعوهم، وقيل المعنى: ودّوا حين رأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون في الدنيا إذا رأوا العذاب يوم القيامة، أو يهتدون في الدنيا لما رأوا العذاب في الآخرة، أو لما اتبعوهم [٢].

معنى الآية الكريمة:

"وقيل" للكفار {ادْعُوا شُرَكَاءكُمْ} أي استغيثوا بآلهتكم التي عبدتموها في الدنيا لتنصركم وتدفع عنكم { فَدَعَوْهُمْ } أي استغاثوا بهم { فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ } أي فلم يجيبوهم ولم ينتفعوا بهم { وَرَأَوُا الْعَذَابَ } قد غشيهم { لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ } لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب، أو إلى الحق لما لقوا ما لقوا [٣].

١٦. قال تعالى: { وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ } [٤].

جواب لو محذوف أي لرأيت أمرًا هائلًا ، أو لرأيت ما يعتبر به عبرة عظيمة " [٥].

والسر الدلالي في حذفه هو قصد التفخيم والتعظيم.

(١) سورة: القصص، الآية [٦٤].
(٢) البرهان في علوم القرآن: ١٨٦/٣، والجامع لأحكام القرآن: ٣٠٤/١٣.
(٣) الجامع لأحكام القرآن: ٣٠٤/١٣، وإرشاد العقل السليم: ٢٢/٧.
(٤) سورة: سبأ، الآية [٥١].
(٥) البرهان في علوم القرآن ١٨٦/٣، وإرشاد العقل السليم: ١٤٠/٧.

معنى الآية الكريمة:

الآية تحكي أحوال الكفار في وقت ما يضطرون فيه إلى معرفة الحق، { وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ } أي لو ترى إذا فزعوا في الدنيا عند نزول الموت أو غيره من بأس الله تعالى بهم، وقيل: هو فزعهم في القبور من الصيحة، وقيل: هو فزعهم إذا عاينوا عقاب الله يوم القيامة، وقيل: هو فزعهم يوم بدر حين ضربت أعناقهم بسيوف الملائكة فلم يستطيعوا فرارًا ولا رجوعًا إلى التوبة،وقيل،غير ذلك { فَلَا فَوْتَ } فلا يفوتون الله – ﷻ – بهرب أو تحصن { وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ } أي من القبور، وقيل: من حيث كانوا، فهم من الله قريب ولا يعزبون عنه ولا يفوتونه [١].

١٧. قال تعالى: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}[٢].

جواب إذا محذوف، والتقدير: إذا قيل لهم ذلك أعرضوا، وقد حذف ثقة بانفهامه من قوله تعالى بعده: { وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ } [٣]. انفهامًا بينًا أما إذا كان الإنذار بالآية الكريمة فبعبارة النص، وأما إذا كان بغيرها، فبدلالته لأنهم حين أعرضوا عن آيات ربهم، فلأن يعرضوا عن غيرها بطريق الأولوية، كأنه قيل وإذا قيل لهم اتقوا العذاب أعرضوا حسبما اعتادوه [٤].

معنى الآية الكريمة:

{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا } بيان لإعراضهم عن الآيات التنزيلية بعد إعراضهم عن الآيات الآفاقية التي كانوا يشاهدونها وعدم تأملهم فيها، أي إذا قيل لهم بطريق

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٤/٣١٤.
(٢) سورة: يس، الآية [٤٥].
(٣) سورة: يس، الآية [٤٦].
(٤) الجامع لأحكام القرآن: ١٥/٣٦، وإرشاد العقل السليم: ٧/١٧٠.

الإنذار بما نزل من الآيات أو بغيره، اتَّقُوا { مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ } من الآفات والنوازل، فإنها محيطة بكم أو ما يصيبكم من المكاره من حيث تحتسبون، ومن حيث لا تحتسبون، أو من الوقائع النازلة على الأمم الخالية قبلكم، والعذاب المعد لكم في الآخرة، أو من نوازل السماء ونوائب الأرض، أو من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، أو ما تقدم من الذنوب وما تأخر { لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } إما حال من واو اتقوا أو غاية له أي راجين أن ترحموا، أو كي ترحموا، فتنجوا من ذلك، لما عرفتهم أن مناط النجاة ليس إلا رحمة الله تعالى [1].

١٨. قال تعالى: { وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ } [2].

جواب إذا محذوف للإيذان بأن لهم حينئذ من فنون الكرامات ما لا يحدق به نطاق العبارات، وحذف الجواب بليغ في كلام العرب، يقول امرؤ القيس:

فلَوأنّها نَفسٌ تَموتُ جَميعَةً ∴ وَلَكِنَّها نَفسٌ تُساقِطُ أَنفُسا[3]

فحذف جواب لو والتقدير لكان أروح [4].

والتقدير: استقروا أو خلدوا أو استووا، مما يقتضيه المقام، ويحتمل أن يكون التقدير: إذا جاءوها أذن لهم في دخولها وفتحت أبوابها ؛ المجيء ليس مباشرًا للفتح، بل الإذن في الدخول هو السبب في ذلك [5].

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: ١٦٩/٧، ١٧٠.
(٢) سورة: الزمر، الآية [٧٣].
(٣) سبق تخريجه .
(٤) الجامع لأحكام القرآن: ٢٨٥/١٥، وإرشاد العقل السليم: ٢٦٤/٧.
(٥) البرهان في علوم القرآن: ١٩٠/٣.

والحكمة في إثبات الواو هنا { وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا } وحذفها في { وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا }[1] أن زيادة الواو دليل على أن الأبواب فتحت لهم قبل أن يأتوا لكرامتهم على الله تعالى، كأنه قال: جاءوها وهي مفتحة، بدليل قوله: { جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ } [2].

وحذف الواو في قصة أهل النار، لأنهم وقفوا على النار وفتحت بعد وقوفهم إذلالًا وترويعًا.

فالعادة مطردة شاهدة في إهانة المعذبين بالسجون من إغلاقها حتى يردوا عليها، وإكرام المنعمين بإعداد فتح الأبواب لهم مبادرة واهتمامًا [3].

وقيل: إنها واو الثمانية، وذلك من عادة قريش أنهم يعدون من الواحد فيقولون خمسة ستة سبعة وثمانية فالسبعة عندهم عدد كامل، فإذا بلغوا السبعة قالوا وثمانية، قال الله تعالى: { وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ } [4]، وقال: { سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ } [5]، وقد استدل بهذا من قال إن أبواب الجنة ثمانية [6].

وفي هذا ما حُكِي أنه اجتمع أبو علي الفارسي مع أبي عبد الله الحسين بن خالويه في مجلس سيف الدولة، فسئل ابن خالويه عن قوله تعالى: { حَتَّى إِذَا

(١) سورة: الزمر، جزء من الآية [٧١].
(٢) سورة: ص، الآية [٥٠].
(٣) البرهان في علوم القرآن: ١٨٩/٣، والجامع لأحكام القرآن: ٢٨٥/١٥.
(٤) سورة: الكهف، جزء من الآية [٢٢].
(٥) سورة: الحاقة، جزء من الآية [٧].
(٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٢٨٥/١٥، ٢٨٦.

جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا } في النار بغير واو، وفي الجنة بالواو ! فقال: ابن خالويه: هذه الواو تسمى واو الثمانية لأن العرب لا تعطف الثمانية إلا بالواو، فقال: فنظر سيف الدولة إلى أبي علي، وقال: أحق هذا ! فقال أبو علي: لا اقول كما قال، إنما تركت الواو في النار، لأنها مغلقة، وكان مجيئهم شرطًا في فتحها " (١) (٢).

معنى الآية الكريمة:

{ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا } يعني من الشهداء والزهاد والعلماء وغيرهم، ممن اتقى الله وعمل بطاعته، وقال في حق الفريقين: " وسيق " بلفظ واحد، فسوق أهل النار طردهم إليها بالخزي والهوان، كما يفعل بالأسارى والخارجين على السلطان إذا سيقوا إلى حبس أو قتل، وسوق أهل الجنان سوق مراكبهم إلى دار الكرامة والرضوان، لأنه لا يذهب بهم إلا راكبين، كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك فهو سوق إعزاز وتشريف، فشتان ما بين السوقين { حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ } من جميع المكاره والآلام { طِبْتُمْ } طهرتم من دنس المعاصي، أو طبتم نفسًا بما أتيح لكم من النعيم { فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ } (٣).

---

(١) البرهان في علوم القرآن ١٨٩/٣.

(٢) ويجوز أن تكون الواو زائدة والجواب " فتحت أبوابها " ففي الكشاف على أن واو " وفتحت " زائدة، ويجوز أن تكون أصلية والجواب محذوف، لأنه في صفة ثواب أهل الجنة، فدل بحذفه على أنه شيء لا يحيط به الوصف، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري ٣٠٧/٢، ط: مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٨٤/١٥، ٢٨٥، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٢٦٤/٧.

١٩. قال تعالى: { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّـهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّـهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } [١].

جواب " إن " محذوف تقديره: فآمن أتؤمنون فقد ظلمتم، أو أفلستم ظالمين، يبينه {إِنَّ اللَّـهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} وقيل: تقديره: فمن المحق منّا ومن المبطل، وقيل: { فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ } أفتأمنون عذاب الله [٢].

والمعنى: أخبروني إن كان من عند الله تعالى، وشهد على ذلك أعلم بني إسرائيل – هو عبد الله بن سلام، فقد أسلم فقد جاء مسلمًا قبل أن تعلم اليهود بإسلامه، قال: يا رسول الله، اجعلني حكمًا بينك وبين اليهود، فسألهم عنه: أي رجل فيكم، قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا، فقال: إنه قد آمن بي، فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه، قال: هذا ما كنت أخاف يا رسول الله وأحذر، وقيل:الشاهد موسى (عليه السلام)، وشهادته بما فى التوراة من بعثة النبى (ﷺ) فآمن به من غير تلعثم، واستكبرتم عن الإيمان به بعد هذه المرتبة من أضل منكم، بقرينة قوله تعالى: { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّـهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ } [٣]، { إِنَّ اللَّـهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } فإن عدم الهداية مما ينبئ عن الضلال قطعًا، ووصفهم بالظلم للاشعار بعلة الحكم، فإن تركه الله تعالى لهدايتهم لظلمهم [٤].

---

(١) سورة: الأحقاف، الآية [١٠].

(٢) البرهان في علوم القرآن: ١٨٢/٣، والفتوحات الإلهية للجمل: ١٢٦/٣.

(٣) سورة: فصلت، الآية [٥٢].

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٨٨/١٦، ١٨٩، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: ٨٠/٨٠، ٨١.

٢٠. قال تعالى: { إِذَا السَّمَاء انشَقَّتْ } [١].

جواب إذا محذوف ليذهب المقدر كل مذهب، دلّ عليه ما بعده، وهو قوله { فَمُلَاقِيهِ } [٢]، وتقديره: لقي الإنسان عمله، أو تقديره مصرح به في سورتي التكوير والانفطار، وهو قوله: { عَلِمَتْ نَفْسٌ } [٣]، [٤].

يقول الفراء: "والجواب في: { إِذَا السَّمَاء انشَقَّتْ } وفي { وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ } كالمتروك؛ لأن المعنى معروف قد تردد في القرآن معناه فعرف، وإن شئت كان جوابه: يا أيها الإنسان، كقول القائل: إذا كان كذا وكذا فيأيها الناس ترون ما عملتم من خير أو شر، تجعل يأيها الإنسان هو الجواب، وتضمر فيه الفاء، وقد فسر جواب: إذا السماء – فيما يلقي الإنسان من ثواب وعقاب – وكأن المعنى: ترى الثواب والعقاب إذا انشقت السماء [٥].

والمعنى أن السماء تتصدع بغمام يخرج منها، قيل يكون في ذلك الغمام ملائكة العذاب، وكان ذلك أشد وأوجل من حيث أنه جاء العذاب من موضع الخير، فعلى هذا يكون انشقاق السماء لنزول الملائكة [٦].

---

(١) سورة: الانشقاق، الآية [١].

(٢) سورة: الانشقاق، جزء من الآية [٦]

(٣) سورة: التكوير، جزء من الآية [١٤]، وسورة الانفطار، جزء من الآية [٥].

(٤) معاني القرآن للفراء تحقيق: د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي مراجعة الأستاذ/ علي النجدي ناصف: ٢٤٩/٣، ٢٥٠، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢م، والكشاف للزمخشري: ٥٧٩/٤، وتفسير الجلالين لجلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي ٥٠٩/٤، هامش الفتوحات الإلهية للجمل، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان.

(٥) معاني القرآن للفراء: ٢٥٠/٣.

(٦) الفتوحات الإلهية للجمل: ٥٠٨/٤.

٢١. قال تعالى: { كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ } [١].

جواب لو محذوف للتهويل [٢].

والمعنى على التقدير:

أي لو تعلمون ما بين أيديكم علم الأمر اليقين أي لعلمكم ما تستيقنونه لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه، أو لو علمتم علمًا يقينًا عاقبة التفاخر ما اشتغلتم به، وقيل اليقين هو الموت أو البعث ؛ لأنهما إذا وقعا جاء اليقين وزال الشك، فالمعنى لو تعلمون علم الموت وما يلقى الإنسان معه وبعده في القبر وفي الآخرة لم يلهكم التفاخر والتكاثر عن طاعة الله تعالى [٣].

(١) سورة: التكاثر، الآية [٥].

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: ١٩٥/٩، والفتوحات الإلهية للجمل: ٥٨١/٤.

(٣) التفسير الكبير للرازي: ٨٠/٣٢، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٧٤/٢٠، وفتح القدير للشوكاني: ٤٨٩/٥.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

فقد انتهيت بعون الله وتوفيقه من هذا البحث " جواب الشرط المحذوف في القرآن الكريم وأثره في المعنى " وقد توصلت فيه إلى الآتي:-

١- التأكيد على إعجاز القرآن الكريم، الذي تحدى الله به جميع البشر في كل زمان ومكان.

٢- يكون الحذف أحيانًا أوقع في النفس، وأقوى في المعنى من الذكر.

٣- لابد لأي دراسة تقوم على المعنى من معرفة السياق، كما ظهر في تقدير جواب الشرط المحذوف.

٤- هناك أغراض دلالية لهذا الحذف.

أ- التفخيم والتهويل، وهذا الغرض يكون في سياق مخاطبة الكفار في مشاهد يوم القيامة.

ب- المبالغة، وهذا هو الغرض الآخر من حذف جواب الشرط ليضيف إلى المعنى معنى زائدًا، هو المبالغة وتقوية المعنى، فالحذف فيه تفخيم الشأن، وهو ذهاب الوهم كل مذهب.

المراجع

** القرآن الكريم (جل من أنزله).

١. الآحاد والمثانى لأحمد بن عمر الشيبانى، تحقيق: باسل فيصل أحمد، نشر: دار الراية، الرياض، الأولى ١٩٩١م.

٢. ارتشاف الضرب من كلام العرب لأبي حيان، تحقيق: د. مصطفى أحمد النحاس، مطبعة النسر الذهبي، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

٣. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان.

٤. الأشباه والنظائر في النحو لجلال الدين السيوطي، تحقيق: غازي مختار سليمان، ط: مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

٥. الأصول في النحو لابن السراج، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

٦. إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

٧. إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، الناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص – دمشق، الطبعة الرابعة ١٤١٥هـ.

٨. الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ط: دار الكتب المصرية.

٩. إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، على هامش الفتوحات الإلهية للحمل، ط: دار الفكر.

١٠. أنظمة الربط في العربية د. حسام البهنساوي، ط: مكتبة الشرق – الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.
١١. أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بي.روت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
١٢. البحر المحيط في التفسير لأبي حيان، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت ١٤٢٠هـ.
١٣. بدائع العقائد لابن قيم الجوزية، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
١٤. البرهان في علوم القرآن للزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: دار الفكر، بيروت.
١٥. تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد " التحرير والتنوير " لمحمد الطاهر بن عاشور، الناشر: الدار التونسية للنشر. تونس ١٩٨٤م.
١٦. تفسير الجلالين لجلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي، هامش الفتوحات الإلهية للجمل، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان، وط: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
١٧. تفسير الشعراوي لمحمد متولي الشعراوي، الناشر: مطابع أخبار اليوم ١٩٩٧م.
١٨. تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ط: مكتبة الصفا بالقاهرة، ط: الأولى ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.
١٩. تفسير المراغي لأحمد بن مصطفى المراغي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى ١٣٦٥هـ – ١٩٤٦م.

٢٠. تفسير النسفي لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، ط: دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبي وشركاه.
٢١. التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي، الناشر: دار الجيل الجديد، بيروت، الطبعة العاشرة ١٤١٣هـ.
٢٢. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د. محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – مصر ١٩٩٨م.
٢٣. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.
٢٤. جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر.
٢٥. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، الطبعة الثالثة ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م، الناشر: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة.
٢٦. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي، تحقيق: عبدالسلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٩هـ.
٢٧. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم – دمشق.
٢٨. دراسات في فقه اللغة، د. صبحي الصالح، ط: دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.
٢٩. دلالة الألفاظ العربية وتطورها، د. مراد كامل، ط: مصر.

٣٠. دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، د. عبد الفتاح البركاوي، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
٣١. دلالة اللفظ وأطوارها وأنواعها، د. عيد الطيب، مطبعة الأمانة ١٤٠٣هـ.
٣٢. ديوان امرئ القيس، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ط: الثانية ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.
٣٣. ديوان رؤبة، نشر: ليبسك برلين ١٩٠٣م.
٣٤. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
٣٥. زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، خرّج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: أحمد شمس الدين، ط: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ط: الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
٣٦. سر صناعة الإعراب لابن جني، تحقيق: د. حسن هنداوي، ط: دار القلم – دمشق – الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٣٧. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، تأليف: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة دار التراث، القاهرة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٣٨. شرح الكافية الشافية لابن مالك، تحقيق: أحمد يوسف القادري، طبعة دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .
٣٩. شرح الكافية لنجم الدين الرضي الاستراباذي مع تعليقات العلامة المحقق: السيد الشريف، طبعة سنة ١٢٧٥م، الهند.
٤٠. شرح المفصل لابن يعيش، ط: مكتبة المتنبى، القاهرة.

٤١. شرح المقرب المسمى التعليقة للعلامة بهاء الدين بن النحاس الحلبي، دراسة وتحقيق: د. خيري عبد الراضي عبد اللطيف، ط: مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

٤٢. شرح المكودي " عبد الرحمن بن علي بن صالح " على ألفية ابن مالك، وبهامشه حاشية العلامة الملوي، المطبعة الخيرية، الطبعة الأولى ١٣١٨هـ.

٤٣. الشعر والشعراء لأبى محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري، الناشر: دار الحديث، القاهرة ١٤٢٣هـ.

٤٤. صحيح ابن حبان بترتيب بن بليبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، الثانية ١٩٩٣م.

٤٥. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق التنزيل للإمام يحيى ابن حمزة العلوي، ط: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

٤٦. طرفا التشبيه القرآني بين السياق والدلالة، رسالة دكتوراه للباحث/ محمود حسن مخلوف، بكلية اللغة العربية بالقاهرة.

٤٧. علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق د. فايز الداية، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م، دار الفكر، دمشق.

٤٨. غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري، طبعة ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م، دار الفكر – بيروت، على هامش جامع البيان للطبري.

٤٩. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني، ط: البابي الحلبي، الطبعة الأولى ١٣٥٠هـ.

٥٠. الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية للجمل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
٥١. في الدلالة اللغوية، د. عبد الفتاح البركاوي، ط: الأولى، القاهرة ٢٠٠٠م.
٥٢. القواعد الحسان لتفسير القرآن لأبي عبد الله عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي، ط: مكتبة الرشد، الرياض، الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٥٣. الكتاب لسيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة.
٥٤. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري، ط: مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
٥٥. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: د. محيي الدين رمضان، ط: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٥٦. لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي المعروف بالخازن، بهامشه مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي، طبعة ١٣٤٢هـ - ١٩٢٣م.
٥٧. لسان العرب لابن منظور، الناشر : دار صادر – بيروت، ط: الثالثة ١٤١٤هـ .
٥٨. اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ط: عالم الكتب، القاهرة.
٥٩. اللغة. ج. فندريس، تعريب: عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، ط: لجنة البيان العربى، القاهرة ١٣٧٠هـ ١٩٥٠م .
٦٠. مبادئ اللسانيات، د. أحمد محمد قدور، ط: دار الفكر – دمشق، الطبعة الخامسة ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.

٦١. المجتبى من مشكل إعراب القرآن، د. أحمد محمد الخراط، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة ١٤٢٦هـ.
٦٢. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبدالسلام عبد الشافي محمد، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى ١٤٢٢هـ.
٦٣. مختار الشعر الجاهلي بشرح مصطفى السقا، ط: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٩٣٠م .
٦٤. مدخل إلى علم اللغة الحديث، د. عبد الفتاح البركاوي، ط: الرابعة ٢٠٠٥م.
٦٥. معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي، تحقيق: عبد الرازق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – الأولى ١٤٢٠هـ.
٦٦. معاني القرآن للفراء، تحقيق: د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي مراجعة الأستاذ: علي النجدي ناصف، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢م.
٦٧. معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبى، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م
٦٨. المعجم العربي دراسة ونقدًا، د. شعبان عبد العظيم، ط: الثانية، مصر.
٦٩. المعجم الكبير للطبرانى، تحقيق: حمدى بن عبد المجيد السلفى، نشر: مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الثانية ١٩٨٣م .
٧٠. المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية، ط: دار الدعوة – استانبول – تركيا.
٧١. مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير لفخر الدين الرازي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ.

٧٢. المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهاني، تحقيق وضبط: محمد سيد كيلانى، طبعة شركة ومكينة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر، الطبعة الأخيرة ١٣٨١هـ ١٩٦١م.
٧٣. المقتضب للمبرد، تحقيق: د. محمد عبد الخالق عظيمة، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة.
٧٤. مقدمة في قراءات القرآن الكريم ولهجات العرب في عصر النبوة د. عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، ط أولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٧٥. منار السالك إلى أوضح المسالك لمحمد عبد العزيز النجار، مطبعة الفجالة الجديدة ١٩٥٤م.
٧٦. الموسوعة القرآنية لإبراهيم بن إسماعيل الأبياري، الناشر: مؤسسة سجل العرب، طبعة ١٤٠٥هـ.
٧٧. النشر في القراءات العشر لابن الجزري، قدم له الأستاذ: علي محمد الصباغ، وخرج آياته الشيخ: زكريا عميرات، ط: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ط: الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
٧٨. همع الهوامع للسيوطي، تحقيق: عبد العال مكرم، الكويت ١٣٩٤هـ.